براءة المـــــــالكية

من مذهب غلاة الجهمية

جمعه و رتبه أبو الدّرداء المالكي

بسم الله و الحمد لله و الصلاة و السلام على خير خلق الله نبينا محمد و على آله و صحبه و من والاه و بعد،،،

إنّ المطالع في كتب العقائد للمتأخرين والمعاصرين من المنتسبين للمالكية يجدهم يروجون لمذهب غلاة الجهمية المعتزلة ممن اجمع السلف على كفرهم و ضلالهم و خروجهم عن ملة محمد صلى الله عليه و سلم .

فليس الأمر عند هؤلاء تأويل بعض الصفات الفعلية فحسب كما هو حال كثير من كبار علماء الكلابية و الأشاعرة المتقدمين كالباقلاني و البيهقي رحمهم الله تعالى بل تعداه إلى إنكار المتواتر من نصوص الكتاب و السنة و ما أجمع عليه المسلمين ، و أقصد بذلك إثبات علو الله على خلقه و استوائه على عرشه ، حيث يزعم هؤلاء زورا و بهتانا أن هذا هو مذهب الإمام مالك و الإمام الأشعري رحمهما الله تعالى (كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا).

وقد أشار شيخ الإسلام بن تيمية الحنبلي رحمه الله تعالى إلى شيء من هذا في كتابه الفتوى الحموية حيث قال رحمه الله تعالى :

" وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس هي بعينها تأويلات بشر المريسي التي ذكرها في كتابه ... ويدل على ذلك كتاب الرد الذي صنفه عثمان بن سعيد الدارمي أحد الأئمة المشاهير في زمان البخاري صنف كتابا سماه : (رد عثمان بن سعيد على الكاذب العنيد فيما افترى على الله في التوحيد حكى فيه هذه التأويلات بأعيانها عن بشر المريسي بكلام يقتضي أن المريسي أقعد بها وأعلم بالمنقول والمعقول من هؤلاء المتأخرين الذين اتصلت إليهم من جهته وجهة غيره ثم رد ذلك عثمان بن سعيد بكلام إذا طالعه العاقل الذكي : علم حقيقة ما كان عليه السلف وتبين له ظهور الحجة لطريقهم وضعف حجة من خالفهم . ثم إذا رأى الأئمة - أئمة الهدى - قد أجمعوا على ذم المريسية **وأكثرهم كفروهم أو ضللوهم وعلم أن هذا القول الساري في هؤلاء المتأخرين هو مذهب المريسي** : تبين الهدى لمن يريد الله هدايته ولا حول ولا قوة إلا بالله " إهـ

و قال رحمه الله تعالى أيضا في رسالته القاعدة المراكشية ما نصه :

" وكلام المالكية في ذم الجهمية النفاة مشهور في كتبهم وكلام أئمة المالكية وقدمائهم في الإثبات كثير مشهور ؛ حتى علماءهم حكوا إجماع أهل السنة والجماعة على أن الله بذاته فوق عرشه وابن أبي زيد إنما ذكر ما ذكره سائر أئمة السلف ولم يكن من أئمة المالكية من خالف ابن أبي زيد في هذا . وهو إنما ذكر هذا في مقدمة الرسالة لتلقن لجميع المسلمين ؛ لأنه عند أئمة السنة من الاعتقادات التي يلقنها كل أحد . ولم يرد على " ابن أبي زيد " في هذا إلا من كان من أتباع الجهمية النفاة لم يعتمد من خالفه على أنه بدعة ولا أنه مخالف

للكتاب والسنة ؛ ولكن زعم من خالف ابن أبي زيد وأمثاله أن ما قاله مخالف للعقل .

وقالوا : إن ابن أبي زيد لم يكن يحسن فن الكلام الذي يعرف فيه ما يجوز على الله عز وجل وما لا يجوز.**والذين أنكروا على ابن أبي زيد وأمثاله من المتأخرين تلقوا هذا الإنكار عن متأخري الأشعرية - كأبي المعالي وأتباعه - وهؤلاء تلقوا هذا الإنكار عن الأصول التي شاركوا فيها المعتزلة ونحوهم من الجهمية فالجهمية - من المعتزلة وغيرهم - هم أصل هذا الإنكار.**

وسلف الأمة وأئمتها متفقون على الإثبات رادون على الواقفة والنفاة مثل ما رواه البيهقي وغيره عن الأوزاعي قال : كنا - والتابعون متوافرون - نقول : إن الله فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته ."إهـ

و سأحاول في هذه الرسالة المختصرة جمع ما تيسر من كلام أهل العلم رحمهم الله تعالى من المالكية وغيرهم من أهل السنة نبين فيه إجماع أهل القبلة قاطبة على إثبات علو الله و استوائه على عرشه و تكفيرهم من زعم خلاف ذلك و وصف الله تعالى و تقدس بأنه في كل مكان ، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا .

1- المقدمة : قواعد و أسس أهل السنة و الجماعة في فهم أسماء الله تعالى صفاته.
2- معنى التأويل و أقسامه .
3- إجماع أهل السنة على إثبات علو لله سبحانه و تعالى على مخلوقاته و استوائه على عرشه وذكر أدلتهم الشرعية و العقلية و الفطرية .
4- الإمام الأشعري كما في كتابه " الإبانة "و هو من آخر ما ألف يثبت علو على خلقه و استوائه على عرشه .
5- إنكار علو الله تعالى على خلقه ليس من مذهب الأشاعرة المتقدمين في شيء بل هو مذهب غلاة الجهمية من المعتزلة الذين أجمع السلف على ردتهم و كفرهم و نقل كلام الإمام الدارمي في ذلك.
6- الخاتمة .

1- **المقدمة : قواعد و أسس أهل السنة و الجماعة في فهم أسماء الله تعالى صفاته:**

قال الشيخ الفقيه الأصولي المفسر محمد الأمين الشنقيطي المالكي رحمه الله تعالى صاحب " أضواء البيان " في رسالته " منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات " :

" أولا اعلموا أن كثرة الخوض والتعمق في البحث في آيات الصفات وكثرة الأسئلة في ذلك الموضوع من البدع التي يكرهها السلف ، و اعلموا أن مبحث آيات الصفات دل القرآن العظيم أنه يتركز على ثلاثة أسس من جاء بها كلها فقد وافق الصواب وكان على الاعتقاد الذي كان عليه النبي صلى الله عليه و سلم وأصحابه والسلف الصالح ومن أخل بواحد من تلك الأسس الثلاثة فقد ضل وكل هذه الأسس الثلاثة يدل عليها قرآن عظيم .

أحد هذه الأسس الثلاثة :

(الأساس الأول) : هو تنزيه الله جل وعلا على أن يشبه بشيء من صفاته شيئا من صفات المخلوقين وهذا الأصل يدل عليه قوله تعالى (ليس كمثله شيء) الشورى 11 (ولم يكن له كفوا أحد) الإخلاص 4 (فلا تضربوا لله الأمثال) النحل 74 .

(الأساس الثاني) : الإيمان بما وصف الله به نفسه لأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله (ءأنتم أعلم أم الله) البقرة 14 ، والإيمان بما وصفه به رسول الله صلى الله عليه و سلم الذي قال في حقه (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) النجم 3-4 فيلزم كل مكلف أن يؤمن بما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله الله صلى الله عليه و سلم وينزه ربه جل وعلا عن أن تشبه صفته صفة المخلوقين وحيث أخل بأحد هذين الأصلين وقع في هوة ضلال ..فمن ظن أن صفة ربه تشبه شيئا من صفة الخلق فهذا مجنون ضال ملحد لا عقل له يدخل في قوله تعالى عن المشركين (تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين) الشعراء 97-98 ، ومن يسوي رب العالمين بغيره فهو مجنون.

....إلى أن قال رحمه الله تعالى : " والله جل وعلا يقول في كتابه " إن الله على كل شيء قدير" البقرة 20 ، ونحن نقطع أنه تعالى متصف بصفة القدرة على الوجه اللائق بكماله وجلاله كذلك وصف بعض المخلوقين بالقدرة قال (إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم) المائدة 34 ، فأسند القدرة لبعض الحوادث ونسبها إليهم ونحن نعلم أن كل ما في القرآن حق وأن للمولى جل وعلا قدرة حقيقية تليق بكماله وجلاله كما أن للمخلوقين قدرة حقيقية مناسبة لحالهم وعجزهم وفنائهم وافتقارهم وبين قدرة الخالق وقدرة المخلوق من المنافاة والمخالفة كمثل ما بين ذات الخالق وذات المخلوق.....

(الأساس الثالث) :
أن تقطعوا أطماعكم عن إدراك حقيقة الكيفية لأن إدراك حقيقة الكيفية مستحيل وهذا نص الله عليه في سورة طه حيث قال(يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما)،... والمعنى لا إحاطة للعلم البشري برب السموات والأرض فينفي جنس أنواع الإحاطة عن كيفيتها ، فالإحالة المسندة للعلم منفية عن رب العالمين فلا يشكل عليكم بعد هذا صفة نزول ولا مجيء ولا صفة يد ولا أصابع ولا عجب ولا ضحك لأن هذه الصفات كلها من باب واحد فما وصف الله به نفسه منها فهو حق وهو لائق بكماله وجلاله لا يشبه شيئا من صفات المخلوقين وما وصف به المخلوق منها فهو حق مناسب لعجزهم وفنائهم وافتقارهم وهذا الكلام الكثير أوضحه الله في كلمتين (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)...، ليس كمثله شيء التنزيه الكامل الذي ليس فيه تعطيل ،وهو السميع البصير الإيمان بجميع الصفات الذي ليس فيه تمثيل فأول الآية تنزيه وآخرها إثبات ومن عمل بالتنزيه الذي في ليس كمثله شيء والإيمان الذي في قوله وهو السميع البصير وقطع النظر عن إدراك الكنه والحقيقة المنصوص في قوله ولا يحيطون به علما طه 110 خرج سالما .
إلى أن قال ...وختاما يا إخواني نعود فنوصيكم وأنفسنا بتقوى الله وأن تتمسكوا بهذه الكلمات الثلاث:
- أن تنزهوا ربكم عن مشابهة صفات الخلق.
- أن تؤمنوا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسول الله صلى الله عليه و سلم إيمانا مبنيا على أساس التنزيه على نحو ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.
- وتقطعوا الطمع في إدراك الكيفية لأن الله يقول ولا يحيطون به علما." إهـ

<u>2- معنى التأويل و أقسامه :</u>
قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي المالكي رحمه الله تعالى في رسالته " منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات " :
" اعلموا أن التأويل يطلق في الاصطلاح مشتركا بين ثلاثة معان:
1- **يطلق على ما تؤول إليه حقيقة الأمر** في ثاني حال وهذا هو معناه في القرآن نحو قوله تعالى (ذلك خير لكم وأحسن تأويلا) النساء 59 .
2- **ويطلق التأويل بمعنى التفسير** وهذا قول معروف كقول ابن جرير القول في تأويل قوله تعالى كذا أي تفسيره .
3- أما في **اصطلاح الأصوليين** فالتأويل **هو صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه لدليل** وصرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه له عند علماء الأصول ثلاث حالات :
أ - إما أن يصرفه عن ظاهره المتبادر منه لدليل صحيح من كتاب أو سنة وهذا النوع من التأويل صحيح مقبول لا نزاع فيه .

ب- الثاني هو صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه لشيء يعتقده المجتهد دليلا وهو في نفس الأمر ليس بدليل فهذا يسمى تأويلا بعيدا ويقال له فاسد .
جـ - أما حمل اللفظ على غير ظاهره لا لدليل فهذا لا يسمى تأويلا في الاصطلاح بل يسمى لعبا لأنه تلاعب بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه و سلم ومن هذا النوع صرف آيات الصفات عن ظواهرها إلى محتملات ما أنزل الله بها من سلطان كقولهم استوى بمعنى استولى فهذا لا يدخل في اسم التأويل لأنه لا دليل عليه البتة وإنما يسمى في اصطلاح أهل الأصول لعبا لأنه تلاعب بكتاب الله جل وعلا من غير دليل ولا مستند فهذا النوع لا يجوز لأنه تهكم على كلام رب العالمين والقاعدة المعروفة عند علماء السلف أنه لا يجوز صرف شيء من كتاب الله ولا سنة رسوله عن ظاهره المتبادر منه إلا بدليل يجب الرجوع إليه." إهـ
إذا فالتأويل المذموم و الفاسد الذي أنكره أهل السنة و الجماعة رحمهم الله تعالى هو التأويل القائم على غير دليل أو دليل غير صحيح ، وهاذين القسمين و لله و الحمد ليس من منهج أهل السنة و الجماعة رحمهم الله تعالى بل هو من منهج أهل البدع و الضلال.
فمذهب أهل السنة و الجماعة رحمهم الله وهو إثبات ما أثبته الله لنفسه و أثبته له رسوله صلى الله عليه و سلم من الأسماء و الصفات إثباتا يليق بكماله سبحانه تعالى و جلاله لا يماثله أحد في خصائص صفاته تعالى و تقدس كما دل على ذلك ظاهر القرآن و السنة (ليس كمثله شيء و هو السميع البصير) إثبات بلا تشبيه و تنزيه بلا تعطيل و تحريف .
قال الإمام أو حنيفة رحمه الله تعالى : (لا ينبغي لأحد أن ينطق في ذات الله بشيء بل يصفه بما وصف به نفسه ولا يقول فيه برأيه شيئاً تبارك الله وتعالى رب العالمين) جلاء العينين ص368.
و قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: (نثبت هذه الصفات التي جاء بها القرآن ووردت بها السُّنة وننفي التشبيه عنه كما نفى عن نفسه فقال (ليس كَمِثْلِه شيء) السير 341/20 .
قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : " لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو صفه به رسوله صلى الله عليه و سلم لا نتجاوز القرآن و السنّة "مناقب الإمام أحمد ص221.
ولقد لخص الإمام الخطابي هذا المذهب ودلل عليه بعبارة موجزة يقول : (مذهب السلف إجراء آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها مع نفي الكيفية والتشبيه عنها، إذ الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات، يحتذي فيه حذوه، ويتبع مثاله، فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات تكييف، فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات تكييف.) إهـ . " الغنية عن الكلام وأهلها.

3-إجماع أهل السنة على إثبات علو لله سبحانه و تعالى على مخلوقاته و استوائه على عرشه وذكر أدلتهم الشرعية و العقلية و الفطرية .

قال شارح الطحاوية الإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى:
" والنصوص الواردة المتنوعة المحكمة على علو الله على خلقه ، وكونه فوق عباده ، التي تقرب من عشرين نوعا :
- التصريح بالفوقية مقرونا بأداة " من " المعينة للفوقية بالذات ، كقوله تعالى : { يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ } سورة النحل آية 50 .
- التصريح بالعروج إليه نحو : { تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ } سورة المعارج آية 4 ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم » .
الرابع : التصريح بالصعود إليه . كقوله تعالى : { إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ } سورة فاطر آية 10 .
-التصريح برفعه بعض المخلوقات إليه ، كقوله تعالى : { بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ } سورة النساء آية 158 ، وقوله : { إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ } ة آل عمران آية 55 .
- التصريح بالعلو المطلق ، الدال على جميع مراتب العلو ، ذاتا وقدرا وشرفا ، كقوله تعالى : { وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ } سورة البقرة آية 255 ، { وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ } سورة سبأ آية 23 .
- التصريح بتنزيل الكتاب منه ، كقوله تعالى : { تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ } سورة غافر آية 2 ، { تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ } سورة الزمر آية 1 .
- التصريح بأنه تعالى في السماء ، وهذا عند المفسرين من أهل السنة على أحد وجهين : إما أن تكون " في " بمعنى " على " ، وإما أن يراد بالسماء العلو ، لا يختلفون في ذلك ، ولا يجوز الحمل على غيره .
- التصريح بالاستواء مقرونا بأداة " على " مختص بالعرش ، الذي هو أعلى المخلوقات ، مصاحبا في الأكثر لأداة " ثم " الدالة على الترتيب والمهلة .
-التصريح برفع الأيدي إلى الله تعالى ، كقوله صلى الله عليه وسلم : « إن الله يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرا . »
- الإشارة إليه حسا إلى العلو ، كما أشار إليه من هو أعلم بربه وبما يجب له ويمتنع عليه من جميع البشر ، لما كان بالمجمع الأعظم الذي لم يجتمع لأحد مثله ، في اليوم الأعظم ، في المكان الأعظم ، قال لهم : « أنتم مسئولون عني ، فماذا أنتم قائلون ؟ » قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت ، فرفع أصبعه الكريمة إلى السماء رافعا لها إلى من هو فوقها وفوق كل شيء ، قائلا :

« اللهم اشهد » . فكأنا نشاهد تلك الأصبع الكريمة وهي مرفوعة إلى الله ، وذلك اللسان الكريم وهو يقول لمن رفع أصبعه إليه : اللهم اشهد ، ونشهد أنه بلغ البلاغ المبين ، وأدى رسالة ربه كما أمر ، ونصح أمته غاية النصيحة ، فلا يحتاج مع بيانه وتبليغه وكشفه وإيضاحه إلى تنطع المتنطعين ، وحذلقة المتحذلقين! والحمد لله رب العالمين .

- التصريح بلفظ " الأين " كقول أعلم الخلق به ، وأنصحهم لأمته ، وأفصحهم بيانا عن المعنى الصحيح ،و شهادته صلى الله عليه وسلم لمن قال إن ربه في السماء بالإيمان .

- إخباره تعالى عن فرعون أنه رام الصعود إلى السماء ، ليطلع إلى إله موسى فيكذبه فيما أخبره من أنه سبحانه فوق السماوات ، فقال : { يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ }{ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا } سورة غافر الآيتان 36 - 37 . فمن نفى العلو من الجهمية فهو فرعوني ، ومن أثبته فهو موسوي محمدي .

- إخباره صلى الله عليه وسلم : أنه تردد بين موسى عليه السلام وبين ربه ليلة المعراج بسبب تخفيف الصلاة ، فيصعد إلى ربه ثم يعود إلى موسى عدة مرات .

....وهذه الأنواع من الأدلة لو بسطت أفرادها لبلغت نحو ألف دليل ، فعلى المتأول أن يجيب عن ذلك كله! وهيهات له بجواب صحيح عن بعض ذلك !" إهـ

إلى أن قال رحمه الله تعالى :

" وعلوه سبحانه وتعالى كما هو ثابت بالسمع ، ثابت بالعقل والفطرة .

أما ثبوته بالعقل :

فإنه سبحانه لما خلق العالم ، فإما أن يكون خلقه في ذاته أو خارجا عن ذاته ، والأول باطل : أما أولا : فبالاتفاق ، وأما ثانيا : فلأنه يلزم أن يكون محلا للخسائس والقاذورات تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . والثاني : يقتضي كون العالم واقعا خارج ذاته ، فيكون منفصلا ، فلزمت المباينة .

وأما ثبوته بالفطرة :

فإن الخلق جميعا بطباعهم وقلوبهم السليمة يرفعون أيديهم عند الدعاء ، ويقصدون جهة العلو بقلوبهم عند التضرع إلى الله تعالى . وذكر محمد بن طاهر المقدسي أن الشيخ أبا جعفر الهمذاني حضر مجلس الأستاذ أبي المعالي الجويني المعروف بإمام الحرمين ، وهو يتكلم في نفي صفة العلو ، ويقول : كان الله ولا عرش وهو الآن على ما كان! فقال الشيخ أبو جعفر : أخبرنا يا أستاذ عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا ؟ فإنه ما قال عارف قط : يا الله ، إلا وجد في قلبه ضرورة تطلب العلو ، لا يلتفت يمنة ولا يسرة ، فكيف ندفع هذه الضرورة عن أنفسنا ؟ قال : فلطم أبو المعالي على رأسه ونزل ، وأظنه

قال : وبكى! وقال : حيرني الهمذاني حيرني! أراد الشيخ : أن هذا أمر فطر الله عليه عباده ، من غير أن يتلقوه من المرسلين ، يجدون في قلوبهم طلبا ضروريا يتوجه إلى الله ويطلبه في العلو ." إهـ

وكلام السلف في إثبات صفة العلو كثير جدا ، من ذلك ...

قول الإمام أبو حنيفة النعمان رحمه الله تعالى :

قال :"من قال لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض ؟ فقال : قد كفر ؛ لأن الله يقول : { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } وعرشه فوق سبع سماوات ، قلت : فإن قال : إنه على العرش ، ولكن يقول : لا أدري العرش في السماء أم في الأرض ؟ قال : هو كافر ، لأنه أنكر أنه في السماء ، فمن أنكر أنه في السماء فقد كفر . وزاد غيره : لأن الله في أعلى عليين ، وهو يدعى من أعلى ، لا من أسفل ." إهـ (كتاب الفاروق لإسماعيل الأنصاري).

قول الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى :

قال أبو عمر بن عبد البر في كتاب التمهيد:"أخبرنا عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن قال: حدثنا أحمد بن جعفر بن أحمد أن ابن مالك قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: حدثني أبي قال: حدثنا شريح بن النعمان قال: حدثنا عبد الله بن نافع قال: قال مالك بن أنس: الله في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو منه مكان.

قال: وقيل لمالك " الرَّحْمنُ عَلى العَرْش اسْتَوَى " كيف استوى؟.

فقال مالك رحمه الله تعالى: استواؤه معقول وكيفيته مجهولة وسؤالك عن هذا بدعة وأراك رجل سوء. "

قول الإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى :

قال الإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى :"القول في السُّنة التي أنا عليها ورأيت أصحابنا عليها أهل الحديث الذين رأيتهم وأخذت عنهم مثل سفيان ومالك وغيرهما الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله , وأن محمداً رسول الله وأن الله تعالى على عرشه في سمائه يَقرُب من خلقه كيف شاء وأن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء " العلو للذهبي ص120 .

قول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى :

قال يوسف بن موسى القطان شيخ أبي بكر الخلال قيل لأبي عبد الله : " الله فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه وقدرته وعلمه بكل مكان، قال : " نعم هو على عرشه ولا يخلو شيء من علمه "

و قال الإمام مالك الصغير أبي محمد عبد اللّه بن أبي زيد القيرواني:
قال في خطبته برسالته المشهورة باب ما تنطق به الألسنة و تعتقده الأفئدة من واجب أمور الديانات: ومن ذلك الإيمان بأن الله إله واحد لا إله غيره، ولا شبيه له، ولا نظير له، ولا ولد له، ولا والد له، ولا صاحبة له، ولا شريك له، ليس لأوليته ابتداء، ولا لآخرته انقضاء، ولا يبلغ كنه صفته الواصفون، ولا يحيط بأمره المتفكرون، يعتبر المتفكرون بآياته ولا يتفكرون في ماهية ذاته " ولا يُحيطون بشَيْءٍ مِنْ عِلِمه إلاَّ بمَا شاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السمواتِ والأرْض وَلا يَؤُدهُ حِفْظُهُما وهُوَ العَليُّ العَظيم " سورة البقرة آية 255. وهو العليم الخبير، المدبّر القدير السميع البصير العلي الكبير، **وإنه فوق عرشه المجيد بذاته، وهو بكل مكان بعلمه**.خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه، وهو أقرب إليه من حبل الوريد، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين، **على العرش استوى، وعلى الملك احتوى"**

قال الإمام أبو بكر بن محمد بن موهب القبري الأندلسي المالكي (تفرد في وقته بالإجازة من الفقيه بن أبي زيد القيرواني وصحبه واختص به وحمل عنه تواليفه توفي سنة 406 هـ):
قال في شرحه على الرسالة لابن أبي زيد رحمه اللّه عليهما وهو أولى بفهم كلام شيخه عن بقية شرّاح الرسالة :
وأما قوله: " إنه فوق عرشه المجيد بذاته فإن معنى فوق وعلا عند جميع العرب واحد، وفي كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم تصديق ذلك...
ثم ساق الآيات في إثبات العلو وحديث الجارية إلى أن قال: وقد تأتي في لغة العرب بمعنى فوق وعلى ذلك قوله تعالى: " فامْشُوا في مَنَاكِبِها " سورة الملك آية 15. يريد فوقها وعليها، وكذلك قوله تعالى: " ولأصلِبَنّكم في جُذوع النخل " سورة طه آية 71. يريد عليها، وقال تعالى: " أأمِنْتم مَنْ في السّماءِ أنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأرْضَ " سورة الملك آية 16. الآيات، قال أهل التأويل العالمون بلغة العرب: يريد فوقها، وهو قول مالك مما فهمه عن جماعة ممن أدرك من التابعين، مما فهموه عن الصحابة رضي الله عنهم، مما فهموه عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله في السماء بمعنى فوقها وعليها، فلذلك قال الشيخ أبو محمد: إنه فوق عرشه المجيد بذاته، ثم بيّن أن علوه على عرشه إنما هو بذاته لأنه بائن عن جميع خلقه بلا كيف، وهو في كل مكان من الأمكنة المخلوقة بعلمه لا بذاته، إذ لا تحويه الأماكن، لأنه أعظم منها.إلى أن قال: وقوله: " على العَرْشِ اسْتَوَى " سورة طه آية 5، فإنما معناه عند أهل السنة على غير الاستيلاء والقهر والغلبة والملك الذي ظنته المعتزلة، ومن قال بقولهم: إنه بمعنى الاستيلاء.

وبعضهم يقول: إنه على المجاز دون الحقيقة. قال: ويبين سوء تأويلهم في استوائه على عرشه على غير ما تأولوه من الاستيلاء وغيره ما قد علمه أهل العقول أنه لم يزل مستولياً على جميع مخلوقاته بعد اختراعه لها، وكان العرش وغيره في ذلك سواء، فلا معنى لتأويلهم بإفراد العرش بالاستواء الذي هو في تأويلهم الفاسد استيلاء وملك وقهر وغلبة.
قال: وكذلك بيّن أيضاً أنه على الحقيقة بقوله عز وجل: " ومَنْ أصْدَقُ مِنَ اللهِ قيلاً " سورة النساء آية 122. فلما رأى المنصفون إفراد ذكره بالاستواء على عرشه بعد خلق سمواته وأرضه وتخصيصه بصفة الاستواء، علموا أن الاستواء هنا غير الاستيلاء ونحوه، فأقروا بصفة الاستواء على عرشه، وأنه على الحقيقة لا على المجاز لأنه الصادق في قيله، ووقفوا عن تكييف ذلك وتمثيله، إذ ليس كمثله شيء من الأشياء." إهـ

قال إمام الأندلس الحافظ أبو عمر ابن بن عبد البر المالكي رحمه الله تعالى في كتابه التمهيد:

قال في شرحه لحديث أبي هريرة رضي اللّه عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"ينزل ربنا في كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له؟ "

قال :" هذا الحديث ثابت من جهة النقل، صحيح الإسناد لا يختلف أهلُ الحديث في صحته، وفيه دليل على أنّ اللّهَ عز وجل في السماء على العرش من فوق سبع سموات، كما قالت الجماعة، وهو حجتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم: إنّ اللّه في كل مكان وليس على العرش، والدليل على صحة ما قال أهلُ الحق في ذلك قوله تعالى: " الرَّحْمنُ عَلى العَرْش اسْتَوى " سورة طه آية 5.
وقوله تعالى: " ثمَّ اسْتَوَى عَلى العَرْش ما لَكُم مِن دُونهِ من وليٍّ وَلا شَفِيعٍ أفَلا تَتَذكّرون " سورة السجدة آية 4.
إلى أن قال.. وأما قوله: " أءَمِنْتُم مَنْ في السّماءِ " سورة الملك آية 16. فمعناه: مَنْ في السماء، يعني على العرش، وقد تكون في بمعنى على ألا ترى إلى قوله تعالى: " فَسِيحُوا في الأرْض " سورة التوبة آية 2. أي على الأرض.
وكذلك قوله تعالى: " ولأصَلّبَنَّكُمْ في جُذُوع النّخْل " سورة طه آية 71. وهذا كله يعضده قوله تعالى: " تَعْرُجُ الملائِكَةُ والرُّوحُ إليهِ " سورة المعارج آية 4.
وأما ادعاؤهم المجاز في الاستواء، وقولهم في تأويل استوى: استولى، فلا معنى له لأنه غير ظاهر في اللغة، ومعنى الإستيلاء في اللغة: المغالبة، والله تعالى لا يغالبه أحد، وهو الواحد الصمد، ومن حقّ الكلام أن يُحْمَلَ على حقيقته حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز، إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا تعالى إلا على ذلك، وإنما يوجه كلام اللّه عزوجل على الأشهر والأظهر، من

وجوهه ما لم يمنع من ذلك ما يجب له التسليم، ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مُدَّعٍ ما ثبت شيء من العبادات، وجَلَّ اللَّهُ أن يخاطبَ إلا بما تفهمه العرب من معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين، والاستواء معلوم في اللغة مفهوم، وهو العلو والارتفاع على الشيء والاستقرار والتمكّن فيه.
...ومن الحجة أيضاً في أنه عز وجل على العرش فوق السموات السبع: أن الموحدين يجمعين من العرب والعجم إذا كربهم أمرٌ، أو نزلت بهم شدة رفعوا وجوههم إلى السماء ونصبوا أيديهم رافعين مشيرين بها إلى السماء يستغيثون اللّه ربهم تبارك وتعالى، وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يحتاج فيه إلى أكثر من حكايته، لأنه اضطراري لم يخالفهم فيه أحد، ولا أنكره عليهم مسلم، وقد قال صلى الله عليه وسلم للأمة التي أراد مولاها عتقها، إن كانت مؤمنة، فاختبرها رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بأن قال لها: " أين اللّه. " فأشارت إلى السماء، ثم قال لها: " من أنا " قالت: أنت رسول الله. قال: " أعتقها فإنها مؤمنة " فاكتفى رسولُ اللّه صلى الله عليه وسلم منها برفع رأسها إلى السماء واستغنى بذلك عما سواه." إهـ

و قال الإمام القرطبي في شرحه " شرح الأسماء الحسنى " :
" وقد كان الصدر الأول لا ينفون الجهة بل نطقوا هم والكافة بإثباتها للّه تعالى، كما نطق كتابه وأخبر رسوله صلى الله عليه وسلم، ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على العرش حقيقة، وخص العرش بذلك دون غيره، لأنه أعظم مخلوقاته، وإنما جهلوا كيفية الاستواء، فإنه لا تعلم حقيقته، كما قال مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عن الكيف بدعة، وكذلك قالت أم سلمة. إلى أن قال : وقال جميع الفضلاء الأخيار: إن الله على عرشه كما أخبر في كتابه وعلى لسان نبيه بلا كيف بائن من جميع خلقه. هذا مذهب السلف الصالح فيما نقل عنهم الثقات."إهـ

و قال الإمام العلامة أبو عمر الطلمنكي المالكي الأندلسي :
قال في كتابه في الأصول: أجمع المسلمون من أهل السنة على أن اللّه استوى على عرشه بذاته حقيقة لا على المجاز... ثم ساق بسنده عن مالك قوله: اللّه في السماء وعلمه في كل مكان.
وقال : وأجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله تعالى: " وهُوَ مَعَكُم أيْنَما كُنْتُم " سورة الحديد آية 4. ونحو ذلك من القرآن بأن ذلك علمه، وأن اللّه فوق السموات بذاته مستو على عرشه كيف شاء. " إهـ

وقال إمام السنة في زمانه محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد أبو عبد الله الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين الأندلسي المالكي رحمه الله تعالى (ت 399 هـ) :

في كتابه أصول السنة ..باب في الإيمان بصفات الله وأسمائه

قال محمد: واعلم أن أهل العلم بالله وبما جاءت به أنبياؤه ورسله يرون الجهل بما لم يخبر به تبارك وتعالى عن نفسه علما، والعجز عما لم يدع إيمانا، وأنهم إنما ينتهون من وصفه بصفاته وأسمائه إلى حيث انتهى في كتابه، وعلى لسان نبيه .

و قال محمد: فهذه صفات ربنا التي وصف بها نفسه في كتابه، ووصفه بها نبيه صلى الله عليه وسلم، وليس في شيء منها تحديد ولا تشبيه ولا تقدير فسبحان من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. لم تره العيون فتحده كيف هو كينونيته، لكن رأته القلوب في حقائق الإيمان به.

قال محمد: وهذا الحديث (أي حديث النزول) بين أن الله عز وجل على عرشه في السماء دون الأرض، وهو أيضا بين في كتاب الله، وفي غير ما حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال الله عز وجل: يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه و قال: أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض و قال: أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا و قال: إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه.وقال: وهو القاهر فوق عباده وقال لعيسى: إني متوفيك ورافعك إلي و قال: بل رفعه الله إليه.

وحدثني سعيد بن فحلون عن العكي، عن أبي بكير قال: حدثنا مالك، عن هلال بن أسامة، عن عطاء بن يسار، عن عمر بن الحكم أنه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله إن جارية لي كانت ترعى غنما لي فجئتها وقد فقدت شاة من الغنم فسألتها عنها فقالت: أكلها الذئب فأسفت عليها وكنت من بني آدم فلطمت وجهها، وعلي رقبة أفأعتقها؟ قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: أين الله؟ فقالت: في السماء فقال: من أنا؟ قالت: رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أعتقها .

قال محمد: والحديث مثل هذا كثير جدا فسبحان الله من علمه بما في الأرض كعلمه بما في السماء لا إله إلا هو العلي العظيم." إهـ

و قال الإمام أبو محمد عبد الله بن يوسف الجويني الشافعي والد إمام الحرمين المتوفى عام 438هـ في رسالته العظيمة " إثبات الاستواء والفوقية " :

" العبد إذا أيقن أن الله تعالى فوق السماء عالٍ على عرشه بلا حصر ولا كيفية، وأنه الآن في صفاته كما كان في قدمه، صار لقلبه قبلة في صلاته، وتوجهه،

ودعائه، ومن لا يعرف ربه بأنه فوق سماواته على عرشه فإنه يبقى ضائعاً لا يعرف وجهة معبوده، لكن لو عرفه بسمعه، وبصره، وقدمه، وتلك بلا هذا معرفة ناقصة بخلاف من عرف أن إلهه الذي يعبده فوق الأشياء، فإذا دخل في الصلاة وكبر توجه قلبه إلى جهة العرش، منزهاً ربه تعالى عن الحصر، مفرداً له كما أفرده في قدمه وأزليته، عالماً أن هذه الجهات من حدودنا ولوازمنا، ولا يمكننا الإشارة إلى ربنا في قدمه، وأزليته إلا بها، لأنا مُحدَثُون والمحدث لا بد له من في إشارته إلى جهة فتقع تلك الإشارة إلى ربه كما يليق بعظمته، لا كما يتوهمه هو من نفسه، ويعتقد أنه في علوه قريب من خلقه، هو معهم بعلمه، وسمعه، وبصره، وإحاطته، وقدرته، ومشيئته، وذاته فوق الأشياء، فوق العرش، ومتى شعر قلبه بذلك في الصلاة، أو التوجه أشرق قلبه واستنار، وأضاء بأنوار المعرفة والإيمان، وغشيت أشعة العظمة على عقله وروحه ونفسه فانشرح لذلك صدره، وقوي إيمانه، ونزه ربه عن صفات خلقه من الحصر والحلول، وذاق حينئذٍ شيئاً من أذواق السابقين المقربين بخلاف من لا يعرف وجهة معبوده، وتكون الجارية راعية الغنم أعلم بالله منه، فإنها قالت: ((في السمـــاء))، عرفته بأنه على السمـاء؛ فإن في تأتي بمعنى على كقوله تعالى: {يتيهون في الأرض} أي على الأرض. وقوله: {لأصلبنكم في جذوع النخل} أي على جذوع النخل ، فمن تكون الراعية أعلم بالله منه لكونه لا يعرف وجهة معبوده فإنه لا يزال مظلم القلب لا يستنير بأنوار المعرفة والإيمان، ومن أنكر هذا القول فليؤمن به، وليجرب، ولينظر إلى مولاه من فوق عرشه بقلبه مبصراً من وجه، أعمى من وجه، كما سبق مبصراً من جهة الإثبات والوجود والتحقيق، أعمى من جهة التحديد، والحصر، والتكييف، فإنه إذا عمل ذلك وجد ثمرته إن شاء الله تعالى، ووجد نوره، وبركته عاجلاً وآجلاً {ولا ينبؤك مثل خبير}."

وقال شيخ الاسلام بن تيمية الحنبلي رحمه الله تعالى في رسالته " القاعدة المراكشية " و قد نقلته بطوله مع شيء من الاختصار لعظم فائدته :

"إن القرآن والسنن المستفيضة المتواترة وغير المتواترة وكلام السابقين والتابعين وسائر القرون الثلاثة : مملوء بما فيه إثبات العلو لله تعالى على عرشه بأنواع من الدلالات ووجوه من الصفات وأصناف من العبارات ؛ تارة يخبر أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش . وقد ذكر الاستواء على العرش في سبعة مواضع . وتارة يخبر بعروج الأشياء وصعودها وارتفاعها إليه كقوله تعالى : { بل رفعه الله إليه } { إني متوفيك ورافعك إلي } { تعرج الملائكة والروح إليه } وقوله تعالى { إليه يصعد الكلم

الطيب والعمل الصالح يرفعه } . وتارة يخبر بنزولها منه أو من عنده كقوله تعالى : { والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق } { قل نزله روح القدس من ربك بالحق } { حم } { تنزيل من الرحمن الرحيم } { حم } { تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم } . وتارة يخبر " بأنه العلي الأعلى " كقوله تعالى : { سبح اسم ربك الأعلى } وقوله : { وهو العلي العظيم } ..وتارة يخبر بأنه في " السماء " كقوله تعالى : { أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور } { أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا } . فذكر السماء دون الأرض ولم يعلق بذلك ألوهية أو غيرها كما ذكر في قوله تعالى { وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله } وقال تعالى { وهو الله في السماوات وفي الأرض } .

وكذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم { ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء ؟ } { وقال للجارية : أين الله ؟ قالت في السماء . قال : أعتقها فإنها مؤمنة } . وتارة يجعل بعض الخلق " عنده " دون بعض كقوله تعالى : { وله من في السماوات والأرض } . ويخبر عمن عنده بالطاعة كقوله : { إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون } فلو كان موجب العندية معنى عاما كدخولهم تحت قدرته ومشيئته وأمثال ذلك : لكان كل مخلوق عنده ؛ ولم يكن أحد مستكبرا عن عبادته بل مسبحا له ساجدا وقد قال تعالى : { إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين } وهو سبحانه وصف الملائكة بذلك ردا على الكفار المستكبرين عن عبادته وأمثال هذا في القرآن لا يحصى إلا بكلفة .

وأما الأحاديث والآثار عن " الصحابة والتابعين " فلا يحصيها إلا الله تعالى . فلا يخلو إما أن يكون ما اشتركت فيه هذه النصوص من إثبات علو الله نفسه على خلقه هو الحق أو الحق نقيضه ؛ إذ الحق لا يخرج عن النقيضين ؛ وإما أن يكون نفسه فوق الخلق ؛ أو لا يكون فوق الخلق - كما تقول الجهمية - . ثم تارة يقولون : لا فوقهم ولا فيهم ولا داخل العالم ولا خارجه ولا مباين ولا محايث وتارة يقولون : هو بذاته في كل مكان وفي المقالتين كلتيهما يدفعون أن يكون هو نفسه فوق خلقه . فإما أن يكون الحق إثبات ذلك ؛ أو نفيه فإن كان نفي ذلك هو الحق فمعلوم أن القرآن لم يبين هذا قط - لا نصا ولا ظاهرا - ولا الرسول ولا أحد من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين ؛ لا أئمة المذاهب الأربعة ولا غيرهم ولا يمكن أحد أن ينقل عن واحد من هؤلاء أنه نفى ذلك أو أخبر به . وأما ما نقل من الإثبات عن هؤلاء : فأكثر من أن يحصى أو يحصر فإن كان الحق هو النفي - دون الإثبات - والكتاب والسنة والإجماع إنما دل على الإثبات ولم يذكر النفي أصلا : لزم أن يكون الرسول والمؤمنون لم ينطقوا بالحق في هذا الباب ؛ بل نطقوا بما يدل - إما نصا وإما ظاهرا - على الضلال والخطأ المناقض للهدى والصواب . ومعلوم أن من اعتقد هذا في "

الرسول والمؤمنين " فله أوفر حظ من قوله تعالى { ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا } .

...والسلف كلهم أنكروا على الجهمية النفاة وقالوا بالإثبات وأفصحوا به وكلامهم في الإثبات والإنكار على النفاة أكثر من أن يمكن إثباته في هذا المكان وكلام الأئمة المشاهير : مثل مالك والثوري والأوزاعي وأبي حنيفة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وعبد الرحمن بن مهدي ووكيع بن الجراح والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبي عبيد وأئمة أصحاب مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد : موجود كثير لا يحصيه أحد .

وجواب مالك في ذلك صريح في الإثبات فإن السائل قال له : يا أبا عبد الله { الرحمن على العرش استوى } كيف استوى ؟ فقال مالك : الاستواء معلوم والكيف مجهول وفي لفظ : استواؤه معلوم - أو معقول - والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة . فقد أخبر رضي الله عنه بأن نفس الاستواء معلوم وأن كيفية الاستواء مجهولة وهذا بعينه قول أهل الإثبات . وأما " النفاة " فما يثبتون استواء حتى تجهل كيفيته ؛ بل عند هذا القائل الشاك وأمثاله أن الاستواء مجهول : غير معلوم وإذا كان الاستواء مجهولا لم يحتج أن يقال : الكيف مجهول لا سيما إذا كان الاستواء منتفيا فالمنتفي المعدوم لا كيفية له حتى يقال : هي مجهولة أو معلومة .

وكلام مالك صريح في إثبات الاستواء وأنه معلوم وأن له كيفية ؛ لكن تلك الكيفية مجهولة لنا لا نعلمها نحن . ولهذا بدع السائل الذي سأله عن هذه الكيفية فإن السؤال إنما يكون عن أمر معلوم لنا ونحن لا نعلم كيفية استوائه وليس كل ما كان معلوما وله كيفية تكون تلك الكيفية معلومة لنا يبين ذلك أن المالكية وغير المالكية نقلوا عن مالك أنه قال : الله في السماء وعلمه في كل مكان حتى ذكر ذلك مكي - خطيب قرطبة - في " كتاب التفسير " الذي جمعه من كلام مالك ونقله أبو عمرو الطلمنكي وأبو عمر بن عبد البر وابن أبي زيد في المختصر وغير واحد ونقله أيضا عن مالك غير هؤلاء ممن لا يحصى عددهم : مثل أحمد بن حنبل وابنه عبد الله والأثرم والخلال والآجري وابن بطة وطوائف غير هؤلاء من المصنفين في السنة ولو كان مالك من الواقفة أو النفاة لم ينقل هذا الإثبات . والقول الذي قاله مالك : قاله قبله ربيعة بن أبي عبد الرحمن - شيخه - كما رواه عنه سفيان بن عيينة . وقال عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون كلاما طويلا يقرر مذهب الإثبات ويرد على النفاة قد ذكرناه في غير هذا الموضع .

وكلام المالكية في ذم الجهمية النفاة مشهور في كتبهم وكلام أئمة المالكية وقدمائهم في الإثبات كثير مشهور ؛ حتى علماءهم حكوا إجماع أهل السنة والجماعة على أن الله بذاته فوق عرشه وابن أبي زيد إنما ذكر ما ذكره سائر

أئمة السلف ولم يكن من أئمة المالكية من خالف ابن أبي زيد في هذا . وهو إنما ذكر هذا في مقدمة الرسالة لتلقن لجميع المسلمين ؛ لأنه عند أئمة السنة من الاعتقادات التي يلقنها كل أحد . ولم يرد على " ابن أبي زيد " في هذا إلا من كان من أتباع الجهمية النفاة لم يعتمد من خالفه على أنه بدعة ولا أنه مخالف للكتاب والسنة ؛ ولكن زعم من خالف ابن أبي زيد وأمثاله أن ما قاله مخالف للعقل .

وقالوا : إن ابن أبي زيد لم يكن يحسن فن الكلام الذي يعرف فيه ما يجوز على الله عز وجل وما لا يجوز . والذين أنكروا على ابن أبي زيد وأمثاله من المتأخرين تلقوا هذا الإنكار عن متأخري الأشعرية - كأبي المعالي وأتباعه - وهؤلاء تلقوا هذا الإنكار عن الأصول التي شاركوا فيها المعتزلة ونحوهم من الجهمية فالجهمية - من المعتزلة وغيرهم - هم أصل هذا الإنكار . وسلف الأمة وأئمتها متفقون على الإثبات رادون على الواقفة والنفاة مثل ما رواه البيهقي وغيره عن الأوزاعي قال : كنا - والتابعون متوافرون - نقول : إن الله فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته .

وقال أبو مطيع البلخي في كتاب " الفقه الأكبر " المشهور : سألت أبا حنيفة عمن يقول لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض . قال : قد كفر ؛ لأن الله عز وجل يقول : { الرحمن على العرش استوى } وعرشه فوق سبع سمواته فقلت إنه يقول على العرش استوى ولكن لا يدري العرش في السماء أو في الأرض ؛ فقال إذا أنكر أنه في السماء كفر ؛ لأنه تعالى في أعلى عليين ؛ وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل . وقال عبد الله بن نافع كان مالك بن أنس يقول : الله في السماء وعلمه في كل مكان . وقال معدان : سألت سفيان الثوري عن قوله تعالى { وهو معكم أين ما كنتم } قال علمه . وقال حماد بن زيد فيما ثبت عنه من غير وجه رواه ابن أبي حاتم والبخاري وعبد الله بن أحمد وغيرهم : إنما يدور كلام الجهمية على أن يقولوا ليس في السماء شيء وقال علي بن الحسن بن شقيق قلت لعبد الله بن المبارك : بماذا نعرف ربنا ؟ قال ؛ بأنه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه . قلت بحد ؟ قال : بحد لا يعلمه غيره وهذا مشهور عن ابن المبارك ثابت عنه من غير وجه ؛ وهو أيضا صحيح ثابت عن أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وغير واحد من الأئمة .

وقال رجل لعبد الله بن المبارك : يا أبا عبد الرحمن قد خفت الله من كثرة ما أدعو على الجهمية . قال : لا تخف فإنهم يزعمون أن إلهك الذي في السماء ليس بشيء . وقال جرير بن عبد الحميد ؛ كلام الجهمية أوله شهد وآخره سم وإنما يحاولون أن يقولوا ليس في السماء إله رواه ابن أبي حاتم . ورواه هو وغيره بأسانيد ثابتة عن عبد الرحمن بن مهدي قال : إن الجهمية أرادوا أن ينفوا أن يكون الله عز وجل كلم موسى بن عمران وأن يكون على العرش أرى أن يستتابوا فإن تابوا وإلا ضربت أعناقهم . وقال يزيد بن هارون : من زعم

أن الله على العرش استوى على خلاف ما يقر في قلوب العامة فهو جهمي . وقال سعيد بن عامر الضبعي - وذكر عنده الجهمية فقال - هم أشر قولا من اليهود والنصارى قد أجمع أهل الأديان مع المسلمين على أن الله على العرش وقالوا هم ليس عليه شيء . وقال عباد بن العوام الواسطي : كلمت بشرا المريسي وأصحابه فرأيت آخر كلامهم ينتهي إلى أن يقولوا ليس في السماء شيء أرى والله أن لا يناكحوا ولا يوارثوا . وهذا كثير في كلامهم .

وهكذا ذكر أهل الكلام الذين ينقلون مقالات الناس " مقالة أهل السنة وأهل الحديث " كما ذكره أبو الحسن الأشعري في كتابه الذي صنفه في " اختلاف المصلين ومقالات الإسلاميين " فذكر فيه أقوال الخوارج والروافض والمعتزلة والمرجئة وغيرهم . ثم قال : ذكر " مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث " وجملة قولهم : الإقرار بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله وبما جاء من عند الله وبما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يردون من ذلك شيئا - إلى أن قال - وأن الله على عرشه كما قال : { الرحمن على العرش استوى } وأن له يدين بلا كيف كما قال تعالى { لما خلقت بيدي } وأقروا أن لله علما كما قال : { أنزله بعلمه } { وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه } وأثبتوا السمع والبصر ؛ ولم ينفوا ذلك عن الله كما نفته المعتزلة وقالوا : إنه لا يكون في الأرض من خير ولا شر إلا ما شاء الله وإن الأشياء تكون بمشيئة الله كما قال { وما تشاءون إلا أن يشاء الله } إلى أن قال : ويقولون إن القرآن كلام الله غير مخلوق ؛ ويصدقون بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل : { إن الله ينزل إلى سماء الدنيا فيقول : هل من مستغفر فأغفر له ؟ } كما جاء في الحديث . ويقرون أن الله يجيء يوم القيامة كما قال : { وجاء ربك والملك صفا صفا } وأن الله يقرب من خلقه كيف شاء كما قال : { ونحن أقرب إليه من حبل الوريد } وذكر أشياء كثيرة إلى أن قال : فهذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونه وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب . قال الأشعري أيضا في " مسألة الاستواء " قال أهل السنة وأصحاب الحديث ليس بجسم ولا يشبه الأشياء وأنه على عرشه كما قال : { الرحمن على العرش استوى } ولا نتقدم بين يدي الله ورسوله في القول بل نقول استوى بلا كيف وأن له يدين بلا كيف كما قال تعالى : { لما خلقت بيدي } . وأن الله ينزل إلى سماء الدنيا كما جاء في الحديث . قال : وقالت المعتزلة استوى على عرشه بمعنى استولى .

وقال أبو بكر الآجري في " كتاب الشريعة " الذي يذهب إليه أهل العلم : أن الله تعالى على عرشه فوق سمواته وعلمه محيط بكل شيء قد أحاط بجميع ما خلق في السموات العلى وجميع ما في سبع أرضين يرفع إليه أفعال العباد .

فإن قال قائل : أي شيء معنى قوله : { ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم } الآية قيل له علمه والله على عرشه وعلمه محيط

بهم ؛ كذا فسره أهل العلم . والآية يدل أولها وآخرها أنه العلم وهو على عرشه هذا قول المسلمين .

والقول الذي قاله الشيخ " محمد بن أبي زيد " وأنه فوق عرشه المجيد بذاته وهو في كل مكان بعلمه قد تأوله بعض المبطلين بأن رفع المجيد . ومراده أن الله هو المجيد بذاته وهذا مع أنه جهل واضح فإنه بمنزلة أن يقال : الرحمن بذاته والرحيم بذاته والعزيز بذاته . وقد قال ابن أبي زيد في خطبة " الرسالة " أيضا على العرش استوى وعلى الملك احتوى ففرق بين الاستواء والاستيلاء على قاعدة الأئمة المتبوعين ومع هذا فقد صرح ابن أبي زيد في " المختصر " بأن الله في سمائه دون أرضه هذا لفظه والذي قاله ابن أبي زيد ما زالت تقوله أئمة أهل السنة من جميع الطوائف . وقد ذكر أبو عمرو الطلمنكي الإمام في كتابه الذي سماه " الوصول إلى معرفة الأصول " : أن أهل السنة والجماعة متفقون على أن الله استوى بذاته على عرشه . وكذلك ذكره محمد بن عثمان بن أبي شيبة حافظ الكوفة في طبقة البخاري ونحوه ذكر ذلك عن أهل السنة والجماعة . وكذلك ذكره يحيى بن عمار السجستاني الإمام في رسالته المشهورة في السنة التي كتبها إلى ملك بلاده . وكذلك ذكر أبو نصر السجزي الحافظ في كتاب " الإبانة " له .

قال : وأئمتنا كالثوري ومالك وابن عيينة وحماد بن سلمة وحماد بن زيد وابن المبارك وفضيل بن عياض وأحمد وإسحاق : متفقون على أن الله فوق العرش بذاته ؛ وأن علمه بكل مكان وكذلك ذكر شيخ الإسلام الأنصاري وأبو العباس الطرقي والشيخ عبد القادر الجيلي ومن لا يحصي عدده إلا الله من أئمة الإسلام وشيوخه .

وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني - صاحب " حلية الأولياء " وغير ذلك من المصنفات المشهورة في الاعتقاد الذي جمعه : - طريقنا طريق السلف المتبعين الكتاب والسنة وإجماع الأمة . قال : ومما اعتقدوه أن الله لم يزل كاملا بجميع صفاته القديمة لا يزول ولا يحول ؛ لم يزل عالما بعلم بصيرا ببصر سميعا بسمع متكلما بكلام وأحدث الأشياء من غير شيء وأن القرآن كلام الله . وكذلك سائر كتبه المنزلة كلامه غير مخلوق وأن القرآن من جميع الجهات مقروءا ومتلوا ومحفوظا ومسموعا ومكتوبا وملفوظا كلام الله حقيقة لا حكاية ولا ترجمة وأنه بألفاظنا كلام الله غير مخلوق وأن الواقفة واللفظية من الجهمية وأن من قصد القرآن بوجه من الوجوه يريد به خلق كلام الله فهو عندهم من الجهمية وأن الجهمي عندهم كافر . وذكر أشياء إلى أن قال : وأن الأحاديث التي ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم في " العرش واستواء الله عليه " يقولون بها ويثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل وأن الله بائن من خلقه والخلق بائنون منه ؛ لا يحل فيهم ولا يمتزج بهم وهو مستو على عرشه في سمائه دون أرضه . وذكر سائر اعتقاد السلف وإجماعهم على ذلك . وقال يحيى بن

عثمان في " رسالته " : لا نقول كما قالت الجهمية إنه بداخل الأمكنة وممازج كل شيء ولا نعلم أين هو ؛ بل نقول هو بذاته على عرشه وعلمه محيط بكل شيء وسمعه وبصره وقدرته مدركة لكل شيء وهو معنى قوله : { وهو معكم أين ما كنتم } . وقال الشيخ العارف معمر بن أحمد " شيخ الصوفية : في هذا العصر أحببت أن أوصي أصحابي بوصية من السنة وأجمع ما كان عليه أهل الحديث وأهل المعرفة والتصوف من المتقدمين والمتأخرين ؛ فذكر أشياء من الوصية إلى أن قال فيها : وإن الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تأويل والاستواء معلوم والكيف مجهول ؛ وإنه مستو على عرشه بائن من خلقه والخلق بائنون منه بلا حلول ولا ممازجة ولا ملاصقة وإنه عز وجل سميع بصير عليم خبير يتكلم ويرضى ويسخط ويضحك ويعجب ويتجلى لعباده يوم القيامة ضاحكا وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف شاء بلا كيف ولا تأويل ومن أنكر النزول أو تأول فهو مبتدع ضال .

وقال الإمام أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني النيسابوري في كتاب " الرسالة في السنة " له :

ويعتقد أصحاب الحديث ويشهدون أن الله فوق سبع سمواته على عرشه كما نطق به كتابه وعلماء الأمة وأعيان سلف الأمة ؛ لم يختلفوا أن الله تعالى على عرشه وعرشه فوق سمواته . قال : وإمامنا أبو عبد الله الشافعي احتج في كتابه " المبسوط " في مسألة إعتاق الرقبة المؤمنة في الكفارة وأن الرقبة الكافرة لا يصح التكفير بها بخبر { معاوية بن الحكم وأنه أراد أن يعتق الجارية السوداء عن الكفارة ؛ وسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن إعتاقه إياها فامتحنها ليعرف أنها مؤمنة أم لا فقال لها : أين ربك ؟ فأشارت إلى السماء فقال : أعتقها فإنها مؤمنة } فحكم بإيمانها لما أقرت أن ربها في السماء وعرفت ربها بصفة العلو والفوقية ..وقال الحافظ أبو بكر البيهقي : " باب القول في الاستواء " : قال الله تعالى : { الرحمن على العرش استوى } { ثم استوى على العرش } { وهو القاهر فوق عباده } { يخافون ربهم من فوقهم } { إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه } { أأمنتم من في السماء } وأراد من فوق السماء ؛ كما قال : { ولأصلبنكم في جذوع النخل } بمعنى على جذوع النخل . وقال { فسيحوا في الأرض } أي على الأرض وكل ما علا فهو سماء والعرش أعلى السموات . فمعنى الآية أأمنتم من على العرش كما صرح به في سائر الآيات . قال : وفيما كتبنا من الآيات دلالة على إبطال قول من زعم من الجهمية : أن الله بذاته في كل مكان وقوله : { وهو معكم أين ما كنتم } إنما أراد بعلمه لا بذاته . وقال أبو عمر بن عبد البر في " شرح الموطأ " لما تكلم على حديث النزول قال : هذا حديث لم يختلف أهل الحديث في صحته وفيه دليل أن الله في السماء على العرش من فوق سبع سموات ؛ كما قالت الجماعة ؛ وهو من حجتهم على المعتزلة قال : وهذا أشهر عند الخاصة والعامة

وأعرف من أن يحتاج إلى أكثر من حكايته ؛ لأنه اضطرار لم يوقفهم عليه أحد ؛ ولا أنكره عليهم مسلم . وقال أبو عمر أيضا : أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا في تأويل قوله : { ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم } هو على العرش وعلمه في كل مكان ؛ وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله . فهذا ما تلقاه الخلف عن السلف ؛ إذ لم ينقل عنهم غير ذلك ؛ إذ هو الحق الظاهر الذي دلت عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ؛ فنسأل الله العظيم أن يختم لنا بخير ولسائر المسلمين وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ؛ بمنه وكرمه إنه أرحم الراحمين والحمد لله وحده ." إهـ

4- كلام الإمام الأشعري كما في كتابه " الإبانة "و هو من آخر ما ألف يثبت فيه علو على خلقه و استوائه على عرشه :

قال الإمام أبو الحسن الأشعري في كتابه الذي سماه " الإبانة في أصول الديانة " وقد ذكر أصحابه أنه آخر كتاب صنفه وعليه يعتمدون في الذب عنه عند من يطعن عليه - فقال : - (فصل في إبانة قول أهل الحق والسنة . فإن قال قائل قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة ؛ فعرفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون . قيل له : قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها التمسك بكلام ربنا وسنة نبينا وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن حنبل - نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته - قائلون ولما خالف قوله مخالفون ؛ لأنه الإمام الفاضل ؛ والرئيس الكامل ؛ الذي أبان الله به الحق ودفع به الضلال ؛ وأوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين وشك الشاكين ؛ فرحمة الله عليه من إمام مقدم وجليل معظم وكبير مفهم . " وجملة قولنا " أنا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاءوا به من عند الله وبما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نرد من ذلك شيئا ؛ وأن الله واحد لا إله إلا هو فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ؛ وأن " محمدا عبده ورسوله " أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وأن الجنة حق والنار حق وأن الساعة آتية وأن الله يبعث من في القبور . **وأن الله مستو على عرشه كما قال : { الرحمن على العرش استوى }** وأن له وجها كما قال : { ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام } وأن له يدين بلا كيف كما قال : { خلقت بيدي } وكما قال : { بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء } وأن له عينين بلا كيف كما قال : { تجري بأعيننا } - وأن من زعم أن أسماء الله غيره كان ضالا.

إلى أن قال :

(باب ذكر الاستواء على العرش فقال إن قال قائل ما تقولون في الاستواء ؟ قيل له : نقول إن الله مستو على عرشه كما قال : { الرحمن على العرش استوى } وقال تعالى : { إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه } وقال تعالى { بل رفعه الله إليه } وقال تعالى : { يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه } وقال تعالى حكاية عن فرعون { يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب } { أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا } كذب موسى في قوله إن الله فوق السموات وقال تعالى : { أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض } فالسموات فوقها العرش فلما كان العرش فوق السموات قال { أأمنتم من في السماء } لأنه مستو على العرش الذي هو فوق السموات وكل ما علا فهو سماء فالعرش أعلى السموات وليس إذا قال { أأمنتم من في السماء } يعني جميع السموات وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السموات ألا ترى أن الله عز وجل ذكر السموات فقال تعالى : { وجعل القمر فيهن نورا } ولم يرد أن القمر يملؤهن وأنه فيهن جميعا ورأينا المسلمين جميعا يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء : لأن الله على عرشه الذي هو فوق السموات فلولا أن الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش كما لا يحطونها إذا دعوا إلى الأرض . ثم قال : فصل وقد قال القائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية إن معنى قوله { الرحمن على العرش استوى } أنه استولى وقهر وملك وأن الله عز وجل في كل مكان وجحدوا أن يكون الله على عرشه كما قال أهل الحق وذهبوا في الاستواء إلى القدرة فلو كان كما ذكروه كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة ؛ لأن الله قادر على كل شيء والأرض فالله قادر عليها وعلى الحشوش وعلى كل ما في العالم فلو كان الله مستويا على العرش بمعنى الاستيلاء - وهو عز وجل مستول على الأشياء كلها - لكان مستويا على العرش وعلى الأرض وعلى السماء وعلى الحشوش والأقذار ؛ لأنه قادر على الأشياء مستول عليها وإذا كان قادرا على الأشياء كلها ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول : إن الله مستو على الحشوش والأخلية لم يجز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص العرش دون الأشياء كلها . وذكر دلالات من القرآن والحديث والإجماع والعقل ." إهـ

5- إنكار علو الله تعالى على خلقه ليس من مذهب الأشاعرة المتقدمين في شيء بل هو مذهب غلاة الجهمية من المعتزلة الذين أجمع السلف على ردتهم و كفرهم و نقل كلام الإمام الدارمي في ذلك.

قال الإمام أبو سعيد الدارمي رحمه الله تعالى في كتابه " الردّ على الجهمية "
باب الاحتجاج في إكفار الجهمية
ناظرني رجل ببغداد منافحا عن هؤلاء الجهمية فقال لي بأية حجة تكفرون هؤلاء الجهمية وقد نهى عن إكفار أهل القبلة بكتاب ناطق تكفرونهم أم بأثر أم بإجماع فقلت ما الجهمية عندنا من أهل القبلة وما نكفرهم إلا بكتاب مسطور وأثر مأثور وكفر مشهور .

إلى أن قال رحمه الله تعالى:
" ونكفرهم أيضا بالمشهور من كفرهم أنهم لا يثبتون لله تبارك وتعالى وجها ولا سمعا ولا بصرا ولا علما ولا كلاما ولا صفة إلا بتأويل ضلال افتضحوا وتبينت عوراتهم يقولون سمعه وبصره وعلمه وكلامه بمعنى واحد **وهو بنفسه في كل مكان وفي كل بيت مغلق وصندوق مقفل قد أحاطت به في دعواهم حيطانها وأغلاقها وأقفالها فإلى الله نبرأ من إله هذه صفته وهذا أيضا مذهب واضح في إكفارهم .**
ونكفرهم أيضا أنهم لا يدرون أين الله ولا يصفونه ب " أين "والله قد وصف نفسه ب أين ووصف به الرسول (الرحمن على العرش استوى) طه (وهو القاهر فوق عباده) الأنعام (و إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا) آل عمران (و يخافون ربهم من فوقهم) النحل (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض) الملك ونحو هذا فهذا كله وصف ب أين ووصفه رسول الله أين فقال للأمة السوداء أين الله قالت في السماء قال من أنا قالت أنت رسول الله قال أعتقها فإنها مؤمنة والجهمية تكفر به وهذا أيضا من واضح كفرهم والقرآن كله ينطق بالرد عليهم وهم يعلمون ذلك أو بعضهم ولكن يكابرون ويغالطون الضعفاء وقد علموا أنه ليس من حجة أنقض لدعواهم من القرآن غير أنهم لا يجدون إلى رفع الأصل سبيلا مخافة القتل والفضيحة وهم عند أنفسهم بما وصف الله به فيه نفسه جاحدون قد ناظرنا بعض كبرائهم وسمعنا ذلك منهم منصوصا مفسرا .
ويقصدون أيضا بعبادتهم إلى إله تحت الأرض السفلى وعلى ظهر الأرض العليا ودون السماء السابعة العليا وإله المصلين من المؤمنين الذين يقصدون إليه بعبادتهم الرحمن الذي فوق السماء السابعة العليا وعلى عرشه العظيم استوى وله الأسماء الحسنى تبارك اسمه وتعالى فأي كفر أوضح مما حكيناه عنهم من سوء مذاهبهم ..."

و تقدم كلام الإمام أبو حنيفة النعمان رحمه الله تعالى في كفر و ضلال هؤلاء الجهمية المنتسبين للإمام مالك و الأشعري زورا و بهتانا :

قال :**"**من قال لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض ؟ **فقال : قد كفر** ؛ لأن الله يقول : { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } وعرشه فوق سبع سماوات ، قلت : فإن قال : إنه على العرش ، ولكن يقول : لا أدري العرش في السماء أم في الأرض ؟ **قال : هو كافر** ، لأنه أنكر أنه في السماء ، **فمن أنكر أنه في السماء فقد كفر** . وزاد غيره : لأن الله في أعلى عليين ، وهو يدعى من أعلى ، لا من أسفل .**"** إهـ (كتاب الفاروق لإسماعيل الأنصاري).

و تقدم أيضا نقل شيخ الإسلام بن تيمية في كتابه الفتوى الحموية و نعيده للفائدة قال رحمه الله تعالى :

" وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس هي بعينها تأويلات بشر المريسي التي ذكرها في كتابه ... ويدل على ذلك كتاب الرد الذي صنفه عثمان بن سعيد الدارمي أحد الأئمة المشاهير في زمان البخاري صنف كتابا سماه : (رد عثمان بن سعيد على الكاذب العنيد فيما افترى على الله في التوحيد حكى فيه هذه التأويلات بأعيانها عن بشر المريسي بكلام يقتضي أن المريسي أقعد بها وأعلم بالمنقول والمعقول من هؤلاء المتأخرين الذين اتصلت إليهم من جهته وجهة غيره ثم رد ذلك عثمان بن سعيد بكلام إذا طالعه العاقل الذكي : علم حقيقة ما كان عليه السلف وتبين له ظهور الحجة لطريقهم وضعف حجة من خالفهم . ثم إذا رأى الأئمة - أئمة الهدى - قد أجمعوا على ذم المريسية **وأكثرهم كفروهم أو ضللوهم وعلم أن هذا القول الساري في هؤلاء المتأخرين هو مذهب المريسي** : تبين الهدى لمن يريد الله هدايته ولا حول ولا قوة إلا بالله "

الخاتمة

نصيحة مشفق إلى كل جاهل لم يقدّر الله حق قدره من الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى :

" التعطيل سببه اعتقاد التشبيه أولا فاسمعوا أيها الأخوان نصيحة مشفق واعلموا أن كل هذا الشر إنما جاء من مسألة هي نجس القلب وتلطخه وتدنسه بأقذار التشبيه فإذا سمع ذو القلب المتنجس بأقذار التشبيه صفة من صفات الكمال التي أثنى الله بها على نفسه كنزوله إلى سماء الدنيا في ثلث الليل الأخير وكاستوائه على عرشه وكمجيئه يوم القيامة وغير ذلك من صفات الجلال والكمال أول ما يخطر في ذهن المسكين أن هذه الصفة تشبه صفة الخلق فيكون قلبه متنجسا بأقذار التشبيه لا يقدر الله حق قدره ولا يعظم الله حق عظمته حيث يسبق إلى ذهنه أن صفة الخالق تشبه صفة المخلوق فيكون أولا نجس القلب متقذره بأقذار التشبيه فيدعوه شؤم هذا التشبيه إلى أن ينفي صفة الخالق جل وعلا عنه بادعاء أنها تشبه صفات المخلوق فيكون أولا مشبها وثانيا معطلا فصار ابتداء أو انتهاء متهجما على رب العالمين ينفي صفاته عنه بادعاء أن تلك الصفة لا تليق واعلموا أن هنا قاعدة أصولية أطبق عليها من يعتد به من أهل العلم وهي أن النبي صلى الله عليه و سلم لا يجوز في حقه تأخير البيان عن وقت الحاجة ولا سيما في العقائد ولو مشينا على فرضهم الباطل أن ظاهر آيات الصفات الكفر فالنبي صلى الله عليه و سلم لم يؤول الاستواء ب الاستيلاء ولم يؤول شيئا من هذه التأويلات ولو كان المراد بها هذه التأويلات لبادر النبي صلى الله عليه و سلم إلى بيانها لأنه لا يجوز في حقه تأخير البيان عن وقت الحاجة فالحاصل أنه يجب على كل مسلم أن يعتقد هذا الاعتقاد الذي يحل جميع الشبه ويجيب عن جميع الأسئلة وهو أن الإنسان إذا سمع وصفا وصف به خالق السموات والأرض نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه و سلم فليملأ صدره من التعظيم ويجزم بأن ذلك الوصف بالغ من غايات الكمال والجلال والشرف والعلو ما يقطع جميع علائق أوهام المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين فيكون القلب منزها معظما له جل وعلا غير متنجس بأقذار التشبيه فتكون أرض قلبه قابلة للإيمان والتصديق بصفات الله التي تمدح بها وأثنى عليه بها نبيه صلى الله عليه و سلم على غرار (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) الشورى 11 والشر كل الشر في عدم تعظيم الله وأن يسبق في ذهن الإنسان أن صفة الخالق تشبه صفة المخلوق فيضطر المسكين أن ينفي صفة الخالق بهذه الدعوى الكاذبة الخائنة ." إهـ من رسالته منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات .

أسأل المولى سبحانه بأسمائه الحسنى و صفاته العلى أن يرينا الحق حقا و يرزقنا اتباعه و يرينا الباطل باطلا و يرزقنا اجتنابه و لا يجعله ملتبسا علينا ، فإنه وحده تقدس الهادي إلى سواء السبيل بفضله و منه كرمه سبحانه و تعالى.

هذا والله من وراء القصد

أبو الدّرداء المالكي